Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

حتى اسمه هو غاب عنه، بل نسيه بعد أن كان محفورًا هو واسم الوطن فى ذاكرته. إنه يعيش فى إعياء لا يماثله إعياء؛ يعيش مقهورًا مخذولاً كاسف البال، يتخذ الظلام له سترا، ويضرع إلى ربه مستغيثا أن يخلّصه من هذا العذاب الذى استحالت الأعياد فيه مقابر ومآتم. وتغمره حيرة، ويغمره قلق لا حدود له، ويتعذب عذابًا لم يتعذبه أحد. لقد أصبحت الحياة كلها عذابًا فى عذاب وآلامًا وأهوالاً ثقالا. وبنفس هذا الصوت المملوء ألما وحزنًا وحسرة ولوعة نظم ديوانه «شجر الليل» مصوّرًا محنة مصر بالكارثة، وكذب ظنها فى النصر، وخيبة أملها المفاجئة، وهو يرتجف فزعًا وهلعًا، منكسر الخاطر وكل ما حوله يموت، لا الإنسان فحسب، بل حتى الليل والصباح، ويشعر كأنه أصبح كأسًا فارغة، يتقطر فيها الزمن الميت، وتتراءى له مدينته مجروحة جرحًا عميقًا ينزّ دمًا لا يرقأ، ويحسّ كأنه يهوى فى قاع بئر عميق معتم مظلم لا قرار له، وتدور فى نفسه أسئلة تخنقه، وتقضّ عليه مضجعه كل مساء وكل صباح.

ثم يكون نصر أكتوبر سنة ١٩٧٣ ويُنزل جنود مصر البسلاء بالجيش الإسرائيلى فى سيناء هزائم ساحقة، ويمتلئ قلب صلاح فرحًا وابتهاجًا مع شعبه، ويُحيّى أوّل جندى رفع على سيناء علم الوطن المفدَّى، منشدًا:

تمليناك حين أهلَّ فوق الشاشة البيضاءِ
وجهك يلثمُ العلما
وترفعه يداك
لكى يحلِّق فى مدار الشمسِ
حرَّ الوجه مقتحما
ولكن كان هذا الوجه يظهر ثم يَسْتخفى
ولم ألمح سوى بسمتك الزهراء والعينين
ولم تُعلن لنا الشاشة نعتًا لك أو إسما
ولكن كيف كان اسمٌ هنالك يحتويك
وأنت فى لحظتك العظمى